بضعف فكثيراً ما يلجأون الى الكي أو الخلال لكي يكون في اجسامهم بثرة صناعية تنزفهما. وهم يداوون مواشيهم بالخلال كما انسوا منها تشبثاً في مفاصلها. فاما ان الخراج المفتوح ينفع ولا يضر او ان خلايا الدم السليم لتتأب على كل سكريات الفساد و تميتها مهما كانت

حيل المتمارضين

يتذرع كثيرون من المرضى بمرضهم للكسب وتحصيل الرزق. وقد يكون مرضهم عادياً لا يخشى عليهم منهُ ولكنهم يتظاهرون باشتداد وطأتهِ عليهم. او يكون لوباً تعتريهم في اوقات متباعدة فيقربون ما بينها استدراراً لاكف البر. عرفنا رجلاً اجنبياً في هذه العاصمة أصيب منذ ٢٠ سنة وهو شاب بشيء من الشلل تركهُ في ارتجاف اشبه بالرعشة في يد الاشل. فاستأجر غلاماً يتوكأ عليهِ وجعل يدور على القهوات والمجتمعات العامة يستعطي فلا يكاد مسئول يردهُ لان هيئتهُ كانت تستنزل الشفقة من اجمى القلوب واجفاها وتستخرج الرئبق من كف البخيل. وهو لا يزال الى الآن على العهد القديم يدور على القهوات ولكن الناس سئموهُ بل منهم من تحدثهُ النفس بصفعهِ ولعنهِ اعتقاداً بانهُ اصبح غنياً عن السؤال لما اجتمع عندهُ من المال وبأن ما يبدو عليهِ الآن من الاهتزاز والاضطراب انما هو مصطنع كاذب

ورأينا فتى قد انطرح على باب كنيسة والناس خارجون من الصلاة وجعل يرغي ويزبد ويشنج تشنج المصروعين ثم انتهت نوبتهُ باسرع مما تنتهي نوبة المصروع عادة فجعل الناس يثنون عليهِ بما جادت بهِ نفوسهم وقد عرفنا فيما بعد انهُ مصاب بالصرع حقيقة ولكنهُ كثيراً ما يتظاهر بهِ في مثل الحادثة المتقدمة تكدياً ويتصنع النوبة عمداً فلا يفوتهُ احسان المحسنين

وما يقال عن الناس عامة يقال عن الجند خاصة فان منهم من يتمارض حتى في زمان السلم هرباً من الخدمة العسكرية. وقد بلغ خوف الخدمة العسكرية من بعض الناس في بعض البلاد ان كان الواحد منهم يفقأ احدى عينيهِ او يقطع سبابة يمناهُ تخلصاً من الخدمة. ومنهم من يتظاهر بالطرش ولكن يكشف امرهُ بلادتهِ وذكاء ضابطهِ. فقد زعموا ان جندياً ادعى الطرش فاطلقوا وراءهُ بندقية فلم يهتز للصوت ولا ظهرت عليهِ علامة ما تدل على انهُ سمعهُ فلما رأى الضابط المنوط بتجربتهِ ذلك منهُ امرهُ بصوت مخفض ان ينصرف

وما كاد يهمّ بالانصراف حتى قبض عليه واسيق الى الخدمة مكرهاً وانضم فيما بعد ان ليس به طرش البتة . وادعى آخر شلل احد ساعديه بحادث جرى له فسأله الضابط الى اي حدّ كنت تستطيع رفع ساعدك قبل هذا الحادث فرفعهُ على غير انتباه وافتضح امرهُ

ومن اكثر الحيل شيوعاً بين الجند للفرار من الخدمة العسكرية فرك اللسان ببعض المواد فيكون على سطحهِ فروة اشبه بفروة لسان المريض . ومنها دقّ مرفق اليد بالجدار فيسرع البض

فهذه الحيل والوسائل وامثالها قد لا تجرّ ضرراً في زمان السلم فلذلك يعدّون عنها في بعض الجيوش ولا يأخذون صاحبها بالشدة خلافاً للبعض الآخر . واما في زمان الحرب فلا تجد من يتساهل فيها ويغضي عن صاحبها بل الكلّ يعاقبونهُ بالشدة ، يزاولون به شديد العقاب

ولا ريب ان الباعث الاول الذي يحمل الجندي على طلب الفرار من الخدمة العسكرية انما هو الجبن الصرف وخوف التلف . على ان بين الجنود قوماً شديدي الاحساس ذوي امزجة عصبية سريعة الانفعال او في عقولهم شذوذ تجعلهم يظنون ان الوسائل التي يستخدمونها لتشويه هيئتهم وتخريب صحتهم اهون مراساً من جيشة الخنادق والاستهداف لنار الاعداء . ومهما يكن من ذلك كلهِ فان مجموع الذين يلجأون الى الخداع فوراً من الخدمة العسكرية لا يزيد على عشرات في الملايين الاّ اذا كان الغرض حمل الجنود على محاربة الذين يأبون محاربتهم

ولا بأس هنا بوصف بعض الطرق التي استخدمها الجنود في حروبهم المختلفة لتقليد الامراض المختلفة . ففي الجيش الفرنسوي تلّد جنود بعض الاورط الافريقية مرض اليرقان فكانوا يضعون شيئاً من الخامض البكريك في ورقة سجارة لا يزيد على ٢ سنتجراماً ويبتلعون الورقة فتصفرّ وجوههم اصفرار وجه المصاب باليرقان ويستريح امهال وصداع دقيق ويبطئ نبضهم . ولكنهم لا يصابون بالاعراض التي يصاب بها المريض باليرقان حقيقة اخصها الحمّى والأكلان . ثم ان فحص البول لا يترك مجالاً لشبهة البتة

ومنهم من قلّد المصاب بحقن الجلد بالتربنتين او المغازولين . فمن احسن التقليد نجا من الخدمة ومن لم يحسنهُ افضى الحقن به الى مضاعفات اضطرت الى بتر العضو المحقون . وكان الجرّاحون يهتدون الى اكتشاف الخداع بامور عديدة منها مركز الدمّل فان الجندي كان يختار حقن الجلد فوق الركبة على الدوام فتظهر عليها دمامل مصحوبة بحمّى والتهاب والم وهي الاعراض الرئيسة ولكن الالم كان يكون على الغالب اقلّ من المعتاد وكثيراً ما كان

معدوماً . ومن الامور التي كان الجراحون يفرقون بها بين الدمامل الصحيحة والدمامل الكاذبة عدم التهاب العقد العصبية في الكاذبة وخروج مُدّة كثيرة عند رخز الدمامل بالمبضع تختلف عن مدة الدمامل الحقيقية في احتوائها على نسيج ميت بالضغر بنا وفي خلوّها من المكروبات وفي رائحة المدة عند استخراجها وهي رائحة السائل الذي حقن الجلد به

ومنهم من قلّد الحمرة بان فرك وجههُ وعنقهُ ببعض المواد الحرّيفة التي تسبب بثوراً وتقاطاً في الجلد تلوح كأثر الحمرة وقد يخدع بها الطبيب لاول نظرة ولكن الفحص يكشف الحقيقة

ومنهم من قلّد مرض يربط بادخال الزلال الى المثانة . والتهاب الغدة النكفية بتهييج قناة الاذن ولكن القدين فعلوا ذلك فلال لصعوبته ومهولة غيره بالنسبة اليه

و يدخل في حيل المتمارضين حيل المتباكين فان الصغار اذا ساءهم امر او اهينوا اهانة خفيفة لم تثر ثائر دمعهم لصغرها عمدوا الى التظاهر بغير ذلك لتجسيم الاهانة فاستعانوا بريقهم لتبليل مجرى دموعهم اذا خانتهم الدموع . ومن الناس من يعصبه الدمع في بكاء الميت ومشاركة الباكين فيجدق في الاشياء التي امامهُ وهذا التحديق يهيج العينين فتغرورقان بالدمع . ولكن الناس عرفوا كيف يفرقون بين الباكي والمتباكي من قديم الزمان فقال الشاعر العربي

اذا اشتبهت دموع في عيون تبيَّن من بكى ممن تباكى

ويقال ان بعض عرب البادية يذرّون الفلفل او ما اشبههُ من المواد الحرّيفة في عيون الجياد اذا مات فارسها وكان عميد قومهِ ويدورون بها حول نعشهِ فتدمع عيونها وتلوح كأنها تبكي عليهِ وما بها بكاء على انهم لو يذروا الفلفل في عيونها لما استبعد عليها ان تبكي من نفسها اذ الانسان ليس وحدهُ الحيوان الباكي ولا هو وحدهُ الحيوان الضاحك كما زعم اهل المنطق

ومن هذا القبيل حيل صبية المدارس للتخلص من دروسهم فانهُ لما كانت المدارس كابوس احلامهم وعون يقظتهم في الدور الذي يكون فيهِ اللعب والفسحة غايتهم فلا بدع اذا استنبطوا غرائب الحيل فراراً من الدرس ولو كان في تلك الحيل ضرر بهم فقد عرفنا صغاراً يجعلون حليب التين قبل نضجهِ في عيونهم فتلتهب اجفانها ويغيبون عن المدرسة وبذلك تقضي لبانتهم ولو كان في قضائها الالم المبرّح لهم . ورأينا اولاداً يرضّون احد اعضائهم او يضيعون عمداً احذيتهم او كتبهم لكي يغيبوا من المدرسة ولو يوماً او بعض يوم حسبان انها سجن لهم وهم لم يجنوا اثماً يستحق السجن